@Tafsircenter

السمات الأسلوبية للقرآن الكريم ومدى دلالتها على أنه كلام الله تعالى

دراسة أسلوبية للضمائر المعبرة عن الذات العَلِيَّة في القرآن الكريم

أ.د. عبد الحميد هنداوي

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية

Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

ملخص البحث:

يتعرض هذا البحث لبيان مدى دلالة السمات الأسلوبية للقرآن الكريم على مصدرية القرآن الكريم، وأن المتكلم به هو الحق -جلَّ جلاله- من خلال دراسة الضمائر المعبّرة عن الذات الإلهية دراسة أسلوبية باعتبارها ذات دلالة بارزة على فرضية البحث، وذلك من خلال النظر إلى قيمتها الدلالية والأسلوبية المعبرة عن الذات العَلِيَّة في المقامات المختلفة؛ من حيث تنوعها بين صيغ التكلم تارة، والخطاب أو الغيبة تارة أخرى، وأثر ذلك في بيان سمات الجمال والكمال في الألوهية، ومظاهر الكمال والجلال في الربوبية من خلال السياقات والمقامات القرآنية المختلفة التي تَرِد فيها تلك الضمائر.

وقد ركّزت الدراسة على ضمائر التكلم مع بيان أمثلة لضمائر الخطاب والغيبة، كما عرضت لأمثلة التنوع الأسلوبي للضمائر بين أنواعها الثلاثة؛ وذلك في المبحث الأخير عن الالتفات في الضمائر المعبرة عن الذات العليّة في القرآن الكريم.

مقدمة:

يقول علماء الأسلوب: «**الأسلوب هو الرجل**»، وأن أسلوب الكلام وسماته الأسلوبية تدل على المتكلم به؛ حيث يعتبر تمييز المتكلم -من خلال سماته الأسلوبية، وما يعرف به من بصمة أسلوبية متميزة- يعتبر من أهم منجزات المنهج الأسلوبي في تحليل النصوص الأدبية[1].

ولا شك أن دلائل إثبات مصدرية القرآن الكريم وأنه كلام الله ﷻ كثيرةٌ ومتعددة، وقد توسع العلماء في إثباتها، غير أن من الجوانب التي يقلّ طَرْقها رغم أهميتها في ذلكم السياق هي دراسة القرآن من داخله وتأمل أساليبه ومدى دلالتها على أن المتكلم بالقرآن هو الله ﷻ.

إشكالية البحث:

تتبلور إشكالية البحث في النظر إلى أساليب القرآن وسماته ومدى إمكان دلالتها على مصدرية القرآن الكريم، وأن المتكلم به هو الحق ﷻ.

---

(١) صاحب مقولة: «الأسلوب هو الرجل»، هو الكاتب الفرنسي جورج بوفون، انظر: النص البلاغي في التراث العربي والأدبي، د/ أحمد درويش، ط مكتبة النصر، داخل جامعة القاهرة، مقال في الأسلوب، جورج بوفون، ص١٨٩-١٩٤، وانظر: مقاله بعنوان الأسلوب والأسلوبية، في فصول (١/ ٨٤)، ص٦٠، وينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية - بيروت، ص٨٧.

حدود البحث:

كثيرة هي الأساليب والسمات التي يمكن دراستها في القرآن الكريم، ولكي نجيب عن إشكاليتنا ونحسن معالجتها فإننا سنؤطر البحث بالضمائر المعبرة عن الذات العليّة في القرآن الكريم تحديدًا؛ كونها من أبرز ما يفيد في تجلية ما نحن بصدده من بيان دلالة أساليب القرآن على أن المتكلم بهذا القرآن هو الله ﷻ.

وبالتالي فإننا سنبحث هذه الضمائر المعبرة عن الذات العليّة في القرآن الكريم على اختلاف وتنوع تلك الضمائر بين صيغ التكلم تارة، والخطاب أو الغيبة تارة أخرى، باعتبارها أنموذجًا لتلك الدراسة الأسلوبية التي نتغياها هاهنا حيث سنحاول الكشف عن أهم السمات الأسلوبية للقرآن الكريم في استعمال تلك الضمائر ومدى دلالة ذلك في بيان أن المتكلم بهذا القرآن هو المولى ﷻ.

الدراسات السابقة:

لعلّ هذا البحث -بهذه الإشكالية- قد يتشابه في مدخله ومنطلقه مع ما كتبه الراحل العظيم فضيلة الشيخ عبد الله دراز في كتابه (**النبأ العظيم**) في (بيان وجوه جديدة من وجوه الإعجاز القرآني البياني واللغوي والعقلي). وما ورد في هذا الكتاب من إعجاز القرآن، وإثبات أنه كلام الله لو لم يكن في موضوع الإعجاز كتاب غيره، لا سابق عليه، ولا لاحق له، لكان كتابه كافيًا في هذا المجال

الحيوي، ولقامت به الحجة لله قوية على منكري سماوية القرآن من قُدامى ومحدَثين، فقد أثبت رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا القرآن يستحيل عقلًا وعلمًا وواقعًا أن يكون له مصدر غير الله جَلَّ جَلَالُهُ(١).

يتفق هذا البحث مع هذا الكتاب العظيم في هدفه الذي يسعى إليه، وهو التدليل على مصدرية القرآن وهو أنه يستحيل أن يصدر من غير هذا الإله العظيم.

كما يتفق معه فيما انتهى إليه من أن دليل مصدرية هذا الكتاب كائنة في الكتاب نفسه بما اشتمل عليه من علوم ووجوه إعجاز مختلفة كإخباره بأمور ماضية وحاضرة ومستقبلية وغير ذلك من وجوه إعجازه؛ حيث جعل من منهج بحثه: البحث في جوهر القرآن نفسه عن حقيقة مصدره(٢).

---

(١) تقديم كتاب النبأ العظيم، د/ عبد العظيم المطعني، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم. المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ.د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع - طبعة مزيدة ومحققة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (ص٦).

(٢) النبأ العظيم (ص١٠٦)، وقد فعل ذلك كما قال بعد أن: «درسنا الطريق التي جاء منها؛ فما وجدنا في اعترافات صاحبه، ولا في حياته الخلقية، ولا في وسائله وصلاته العلمية، ولا في سائر الظروف العامة أو الخاصة التي ظهر فيها القرآن إلا شواهد ناطقة بأن هذا القرآن ليس له على ظهر الأرض أب ننسبه إليه من دون الله».

غير أن المنطلق والأدوات قد تختلف نوعًا ما؛ حيث إنّ بحثنا هذا يحاول إثبات تلك الفرضية من خلال السمات الأسلوبية للقرآن نفسه التي تدل على أنه أسلوب إله عظيم كامل العظمة والسؤدد، قادر تمام القدرة، عالم تمام العلم، متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص؛ وذلك من خلال التركيز على أداة أسلوبية واحدة؛ هي الضمائر المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

١- تسليط الضوء على أحد الدلائل التي تفيد في بيان مصدرية القرآن واختبار مدى قدرتها في الدلالة على ذلك.

٢- بيان جانب من أهمية الدراسات الأسلوبية في ساحة الدرس القرآني.

٣- الوقوف على أهم السمات الأسلوبية للضمائر المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم.

خطة الدراسة:

مقدمة: عن فكرة البحث وإشكاليته وحدوده وأهدافه.

تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث الرئيسة.

المطلب الأول: الضمائر المعبرة عن الذات العلية في القرآن؛ عرض وتحليل.

- ضمائر التكلم المعبرة عن الذات العلية؛ عرض وتحليل.
- ضمائر الخطاب المعبرة عن الذات العلية؛ عرض وتحليل.

- ضمائر الغيبة المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم؛ عرض وتحليل.

- الالتفات والتنوع الأسلوبي للضمائر المعبرة عن الذات العلية بين التكلم والخطاب والغيبة.

المطلب الثاني: الضمائر المعبرة عن الذات العلية في القرآن؛ نظرات في دلالتها الأسلوبية.

خاتمة: تكشف عن نتائج البحث وتوصياته.

* * *

أولًا - تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث الرئيسة:

١- مظاهر الكمال والجلال للذات الإلهية في القرآن الكريم:

نقصد بمظاهر الكمال والجلال في القرآن الكريم تلك المشاهد القرآنية المختلفة التي تتجلّى فيها الذات الإلهية بصفاتها العُلا من مظاهر الرحمة المختلفة كالخلق والرزق والإنعام والهبة واللطف والعناية...إلخ، ومظاهر القهر المختلفة من الأخذ والعقاب والبطش والانتقام...إلخ، وسائر مظاهر الكمال الدالة على كمال علمه وحكمته وقدرته سبحانه...إلخ جميل وجليل صفاته سبحانه.

٢- الضمائر المعبرة عن الذات العَلِيَّة:

الضمائر المعبرة عن الذات الإلهية هي الضمائر المعروفة في تقسيمات النحاة؛ من حيث انقسامها إلى ضمائر التكلم تارة، والخطاب أو الغَيبة تارة أخرى.

وسوف يقتصر البحث على البارز منها دون المستتر لمحدودية البارزة نوعًا ما بالنسبة لشيوع المستترة وكثرتها.

١- الأسلوب: هو طريقة الكاتب في اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح والتأثير.

٢- **الأسلوبية:** هي فرع من الدراسات اللسانية الحديثة، خصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية، أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب.

٣- **المنهج الأسلوبي:** هو تلك الطريقة الموضوعية التي يسلكها الناقد الأدبي في تحليل النص الأدبي واستخراج معطياته من خلال آليات المنهج الأسلوبي.

٤- **التحليل الأسلوبي:** هو عملية تشريح كامل للنص الأدبي؛ بغية الوقوف على ما يشتمل عليه من سمات لغوية أسلوبية؛ ينظر الناقد الأسلوبي في مدى ملاءمتها لسياقها ومقامها، ومدى دلالتها على متكلم بعينه من خلال تميزه بتلك السمات الأسلوبية.

٥- **التنويع الأسلوبي:** هو التعبير بأسلوبين لغويين مختلفين في سياقين متشابهين لانفراد كل من الأسلوبين بخصوصية تميزه تجعله أكثر ملاءمة لسياقه ومقامه، وسيتضح المقصود بالأمثلة الآتية في البحث.

٦- **السمات الأسلوبية للقرآن الكريم:** نستطيع بعد ذلك أن نقدم تعريفًا للسمات الأسلوبية للقرآن الكريم فنقول إنها هي: «الخصائص التي يتميز بها أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه وصيغه وتراكيبه الدالة على أن هذا القرآن هو كلام الله ﷻ».

فإذا استطعنا مثلًا أن نقف على السمات الأسلوبية التي يمتاز بها كلام كاتب مثل العقاد مثلًا، فإننا نستطيع الجزم بصحة نسبة هذا الكتاب أو ذاك إليه أو نفيه عنه من خلال دراسة أسلوب الكتاب والوقوف على خصائصه وسماته الأسلوبية، وكذلك إذا كان من الثابت المعروف والمتقرر في الفِطَر وبدائِه النفوس والعقول أن كلام الإله الخالق المالك السيد العظيم المدبر للأمر وحده الجبار المتكبر القهار الغفار الرحيم...إلخ ما عرف من صفاته سبحانه واستقر في النفوس والفطر، من صفات الإله المتصف بكل كمال، والمنزه عن كل نقص، والموصوف بالسيادة والمالكية التامة والألوهية والربوبية الكاملة... أقول: إذا كان من الثابت في بدائِه العقول والفطر أن ذلك الإله العظيم يتصف بتلك الصفات والخصائص المُظهِرة لجلال الربوبية وعظمة الألوهية كان من اللازم كذلك في بدائِه تلك العقول أن يعبر كلامه عن تلك الصفات والخصائص، وأن يكون له من السمات الأسلوبية والخصائص التعبيرية ما يتناسب ويتلاءم مع عظمة الألوهية، وجلال الربوبية، ويعبر عنها تعبيرًا صادقًا يوقع في النفس -بما لا ريب فيه ولا شك- أن هذا الكلام هو كلام الإله الخالق العظيم[1].

(١) ينظر في التعريفات السابقة: (مستويات دلالة الكلمة بين البلاغة والأسلوبية)، د/ عبد الحميد هنداوي، بحث مستلّ من مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ع ٢٣ - يونيو ٢٠١٠م، و(الإعجاز =

المطلب الأول: الضمائر المعبرة عن الذات العليّة في القرآن؛ عرض وتحليل:

١- ضمائر التكلم المعبرة عن الذات العلية؛ عرض وتحليل.

٢- ضمائر الخطاب المعبرة عن الذات العلية؛ عرض وتحليل.

٣- ضمائر الغَيبة المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم؛ عرض وتحليل.

٤- الالتفات والتنوع الأسلوبي للضمائر المعبرة عن الذات العلية بين التكلم والخطاب والغيبة.

١- ضمائر التكلم المعبرة عن الذات العليّة؛ عرض وتحليل:

أ- (نا) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ب- (نحن) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ت- (أنا) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ث- (إياي) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ج- (ياء المتكلم) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

=

الصرفي في القرآن الكريم)، د/ عبد الحميد هنداوي، ط المكتبة العصرية - بيروت، و(الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم)، د/ عبد الحميد هنداوي، الدار الثقافية - القاهرة، ط١ - ٢٠٠٤م، و(البلاغة العربية)، د/ عبد الحميد هنداوي وزميله، مطبعة جامعة القاهرة، ط ٢٠١٦م - ١٤٣٨هـ.

ح- (تاء الفاعل) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

٢- النماذج التحليلية لضمائر الخطاب المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم:

أ- (أنت) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ب- (إيّاك) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ت- (تاء الفاعل) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ث- (كاف الخطاب) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

٣- النماذج التحليلية لضمائر الغيبة المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم:

أ- (هو) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ب- (إيّاه) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

ت- (هاء الغائب) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية.

٤- النماذج التحليلية للالتفات والتنوع الأسلوبي للضمائر المعبرة عن الذات العلية بين التكلم والخطاب والغيبة.

***

١ - النماذج التحليلية لضمائر التكلم المعبرة عن الذات العلية:

أ - (نا) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية:

وردت (نَا) المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم في مواضع عديدة تتنوع بحسب تنوع مواقعها الإعرابية بين الرفع والنصب والجر، كما شملت مقامات عديدة تبين لي منها عشرة مقامات تتجلّى فيها مظاهر سموّ الألوهية، وظهور جلال الربوبية، وهذه المقامات هي:

١ – مقام التحدِّي:

من المواضع الجليّة التي وردت فيها (نا) في مقام التحدي قوله ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وفيها تظهر مناسبة استعمال ضمير التعظيم (نا) في مقام التحدِّي، حيث إن مقام التحدي يقتضي تعظيم المتحدِّي نفسَه؛ إمعانًا في إخزاء خصمه، وإيقاعًا للرهبة في نفسه، كما يصنع المُنازِل لخصمه في ساحة النزال، فكأنّه قال: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا نحن بعظمتنا البالغة، وقوّتنا الفائقة، وعِلْمنا الذي لا حدَّ له ولا منتهى).

وفي استعمال ضمير التعظيم أيضًا تلميح وتعريض ببطلان اعتقادهم أنّ الآتي بهذا الكلام هو محمد ﷺ لا أنه من عند الحكيم الخبير.

ويؤكد هذا أنه ﷻ وصفه ﷺ بالعبودية له، مما يبعد شبهة إتيانه بشيء من دون الله ﷻ أو افترائه عليه؛ ولذا قال الطبري: «مما نزّلنا على عبدنا محمد ﷺ من النور والبرهان وآيات الفرقان أنه من عندي وأني الذي أنزلتُه إليه»(١).

«وأضاف العبد إلى نفسه ﷻ تنويهًا بذكره وتنبيهًا على أنه مختص به منقاد لحكمه ﷻ»(٢).

ففي إضافته ﷺ بوصف العبودية إلى ضمير العظمة الدال على الذات العلية إشعار بكمال عبوديته وانقياده لمولاه سبحانه مما ينفي عنه شبهة الافتراء، ووجه المناسبة في التعبير بضمير العظمة والإضافة إليه أن المقام مقام تحدٍّ يحمل معنى التوبيخ(٣)، كما ذهب إليه الطبري وغيره.

ومن ثم نرى كيف كشف لنا التعبير بضمير العظمة هنا في ﴿نَزَّلۡنَا﴾ عن عظمة المنزِّل لهذا القرآن وجلاله وكماله مما يدل على عظمة كلامه المنزَّل،

(١) تفسير الطبري، تحقيق أحمد شاكر (١/ ١٦٥).

(٢) تفسير البيضاوي (١/ ٢٢٩).

(٣) هذا مما أجمع المفسرون عليه أن الآية وردت في مقام التحدي، وذهب الطبري إلى أنها تحمل أيضًا معنى التوبيخ، فقال: «وتحدَّاهم بمعنى التوبيخ لهم في سورة البقرة، فقال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ...﴾ الآية». الطبري (١/ ١٦٧). وكذا ذهب الآلوسي إلى احتمال المقام للتوبيخ؛ وذلك أن «كلمة (إِنْ) إمّا للتوبيخ على الارتياب وتصوير أنه لا ينبغي أن يثبت إلا على سبيل الفرض لاشتمال المقام على ما يزيله أو لتغليب من لا قطع بارتيابهم على من سواهم»، روح المعاني (١/ ١٩٢).

وهو يعود على الذات العلية كذلك بتصور عظمتها وجلالها وكمالها؛ فبمشاهدة جلال وكمال المنزَّل نتبيَّن جلال وكمال المنزِّل سبحانه جلَّ شأنه.

كما يتضح الجلال والكمال والعظمة كذلك في ﴿عَبۡدِنَا﴾ ، فمحمد أكمل خلق الله ﷻ، ومع ذلك فالعبودية هي أكمل أوصافه؛ فمِن ثمّ، فكُلّ مَن دونه ينبغي أن يكون وصف العبودية هو أسمى ما يرجونه؛ فلا يسع أحدًا أن يستنكف عن عبوديته سبحانه، قال ﷻ: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

ومن مظاهر الجلال والكمال دلالة الأساليب والسياق على أن المقام مقام تحدٍّ للمستكبرين، وتوبيخ للجاحدين؛ ومثل هذه المقامات لا تكون إلا لمن كمل جلاله وكماله ﷻ.

٢- مقام الزجر والعقوبة:

من المواضع التي ورَد فيها ضمير التعظيم (نا) في مقام العقوبة قوله ﷻ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، ظاهر من السياق أن المقام هنا مقام معاقبة لهؤلاء المعتدين المبدّلين أمْرَ الله ﷻ وقولَه من بني إسرائيل.

قال البيضاوي: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ بدّلوا بما أُمِروا به من التوبة والاستغفار بطلب ما يشتهون من أعراض الدنيا، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كرره مبالغةً في تقبيح أمرهم وإشعارًا بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه، أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها»[١].

وواضح مناسبة التعبير بضمير التعظيم (نَا) في مقام المعاقبة حيث إنّ عظمة المعاقِب تُشعِر بعِظَمِ المعاقبة، فيدل ذلك على أنّ إنزال الرجز عليهم كان شديدًا وبيلًا.

كما أن المناسبة في التعظيم هنا يمكن أن تلمح من وجهٍ آخر خفيّ وهو أنهم لمّا بالغوا في العصيان -بتبديل ما أُمِروا به مع خفة المأمور به ويُسره؛ حيث إنه لا يعدوا مجرد أقوال يقولونها - أقول: لما بالغوا في العصيان بُولغ لهم في العقوبة فناسب ذلك أن يكنى عن المعاقِب بصيغة التعظيم دلالة على عِظَم الجزاء، والله ﷻ أعلم.

وقد دلّ ضمير التعظيم للمعاقِب فيما سبق على عظمة ذلك الإله، وقدرته على عباده، وهما صفتان لازمتان لكمال الألوهية وجلال الربوبية.

---

(١) تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٨٢).

٣- **مقام التكريم**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

٤- **مقام الامتنان**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٤٩-٥٠].

٥- **مقام التكليف**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣].

٦- **مقام التوبيخ والتقريع**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

٧- **مقام التثبيت والتسلية**، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

٨- **مقام التهديد والتخويف**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣].

٩- **مقام المعاهدة**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣].

١٠- **مقام الثناء والمدح**، كما في قوله ﷻ: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وهذه المقامات كلها من التكريم والامتنان والتكليف والتوبيخ والتقريع والتهديد والمعاهدة والتسلية والتثبيت وغيرها تكشف عن صفات ذي الجلال في كمال ألوهيته وجلال ربوبيته؛ حيث تدلّ على إله عظيم حكيم قادر يأمر وينهى ويعظ ويخوِّف ويهدِّد ويرغِّب ويرهِّب.

ب- (نحن) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية:

يشترك الضمير (نحن) مع (نا) في تعبيره عن الذات العلية في دلالة التعظيم للمتكلِّم، وقد تخرج عن دلالتها على المتكلم سبحانه إلى الدلالة المجازية على المأمورين بأمره وهم الملائكة.

وتتنوع المقامات التي يرد فيها ضمير التعظيم (نحن) المعبر به عن الذات العلية في القرآن الكريم، وقد أحصيت المواضع التي ورد فيها، واجتهدت في تعيين أهم مقامات هذه المواضع كالآتي:

١، ٢- مقاما الامتنان والتذكير:

من المواضع التي ورد فيها ضمير التعظيم (نحن) في مقام الامتنان من الله ﷻ على عباده بنعمه، قوله ﷻ في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٦٣-٧٤].

في هذه الآيات تكرر ورود الضمير (نحن) مفيدًا تعظيم الذات الإلهية، وتعظيم ما نُسب إليها من أفعال في مقام تذكير العباد بنعم الله ﷻ عليهم، وامتنانه عليهم بتلك النعم.

ففي قوله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾، يأتي ضمير التعظيم (نحن) في موضعه لإظهار تلك المفارقة بين عجز البشر عن إخراج ما يحرثون، وبين عظمة الله ﷻ في قدرته المطلقة في إخراج هذا الزرع، ومن ثم ناسب التعبير عن تلك المقابلة أو المفارقة بصيغة التعظيم ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾؟ أي: نحن بقدرتنا وعظمتنا.

ونحو ذلك في قوله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ﴾، حيث يأتي التعظيم في موضعه لتعظيم قدرة الله ﷻ على إنزال هذا الماء الذي يعجز البشر عن إنزال قطرة واحدة منه، وكذلك في قوله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ﴾.

أمّا في قوله ﷻ: ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ﴾، فقد جاء الامتنان مصحوبًا بالتذكير أيضًا بقدرة الله ﷻ على تعذيب العباد بتلك النار في الآخرة، وهو أمر مَهُول يستحق التعظيم والتهويل والتخويف؛ حتى يَقدِره العباد حق قدره ويخافوه ويعدُّوا له عُدَّته، فقد جعل الله ﷻ نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة كما ذكر المفسرون؛ فقد جاء في تفسير البغوي: «﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا﴾ خلقناها، يعني

نار الدنيا، ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومقاتل. وقال عطاء: موعظة يتعظ بها المؤمن»[١].

ونلاحظ كيف جاء الضمير (نا) هنا معبراً عن جلال وكمال الذات الإلهية، سواء في مقام الامتنان على العباد بما خلق لهم من النعم أو بتخويفهم بقدرته على تعذيبهم ومجازاتهم بسوء فعالهم حين يرجعون إليه.

ومن ثم دلّت هذه المقامات بالأساليب والضمائر المعبرة عنها عن عظمة هذه الذات وكمالها وجلالها؛ حيث إن الامتنان والتخويف ونحوهما لا يكون إلا لمن كملت نعمته، وتمّت قدرته، وهو الحق ﷻ.

- **ومن مقاماتها كذلك:** مقام الطمأنة[٢]، ومقاما التسلية التهديد[٣]، ومقام بيان الاختصاص بالقدرة المطلقة، ومقام بيان الاختصاص بإنزال الذكر، ومقام بيان الاختصاص بالإرث المطلق، ومقام بيان الاختصاص بالإحياء والإماتة،

---

(١) مختصر تفسير البغوي/ اختصار وتعليق د. عبد الله بن أحمد بن عليّ الزين، ط. جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥)، ص٩٢٧.

(٢) قال ﷻ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٣١].

(٣) قال تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

ومقام بيان الحكمة الإلهية، ومقام بيان الإحاطة والمالكية؛ حسب تأمل سياقات ورودها وستأتي أمثلة لذلك فيما يأتي.

- اجتماع (نا) و(نحن) في سياق واحد:

دلالاته ومقاماته:

اجتمعت (نا) و(نحن) في بعض السياقات في القرآن الكريم معبرة عن الذات الإلهية في عدد من المواضع، وقد أفاد ذلك الاجتماع في تلك المواضع زيادة التوكيد والتخصيص، مع دلالتي التكلُّم والتعظيم، وقد ورَد ذلك في عدد من المقامات التي نجتهد في تعيينها في تلك الآيات التي وردتا فيها، وهي:

١- قوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٢- قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣].

٣- قوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

٤- قوله ﷻ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

٥- قوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

٦- قوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٣].

- ويمكننا الاجتهاد في تعيين مقامات هذه المواضع على النحو الآتي:

١ - مقام بيان الاختصاص بإنزال الذِّكر: (الحجر: ٩، والمزمل: ٢٣).

٢- مقام بيان الاختصاص بالإحياء والإماتة: (الحجر: ٢٣، و ق: ٤٣).

٣- مقام بيان الاختصاص بالإرث المطلق: (الحجر: ٢٣، ومريم: ٤٠، والقصص: ٥٨).

نلاحظ أن اجتماع (نا) و(نحن) جاء مناسبًا أتمّ المناسبة لهذه المقامات الثلاثة: مقام إنزال الذكر، والإحياء والإماتة، والإرث المطلق.

حيث أفاد إتْبَاعُ الضمير (نا) بـ(نحن) التوكيدَ والتخصيص؛ توكيد إثبات هذه الأمور لله ﷻ وحده، وتخصيصه بها عمّا سواه. كذلك فقد ناسب إضافة التوكيد باللام حيث اجتمع أكثر من خاصية من هذه الخصائص، فجاء الأسلوب (إنّا لَنحن) بزيادة لام التوكيد حيث اجتمعت خاصية الإحياء والإماتة مع الإرث. وإذا أمعنّا النظر والتأمل لاحظنا أن هذه الأمور الثلاثة خاصة لا يمكن لأحد أن يدّعي لنفسه شيئًا منها أو يدّعي اشتراكه مع الله في شيء منها؛ فلا أحد يستطيع أن يدّعي لنفسه أنه يحيي ويميت على الحقيقة، ولا أحد يستطيع أن يدّعي أنه هو الذي أنزل الذكر بما له من خصائص إعجازية، وسمات أسلوبية فريدة.

ولا يستطيع أحد كذلك كائنًا مَن كان أن يدعي لنفسه أنه يرث الأرض بعد هلاك أهلها إرثًا أبديًّا حقيقيًّا، بل الحقيقة الواقعية الثابتة أن الكل موروث لا وارث، وأن الوارث الوحيد لهذا الكون هو مالكه الحقيقي وهو الله ﷻ.

وإذا كان بعض الطواغيت قد ينازع الله ﷻ في بعض صفاته كالعلم أو القدرة ونحو ذلك -مع ما هو ثابت ومتقرر من محدودية صفات البشر وملازمة النقص لهم- فإن أحدًا كائنًا مَن كان لا يستطيع منازعة الله ﷻ في هذه الصفات، وهي:

١- أنه سبحانه هو وحده واهب الحياة للبشر، وأنه هو الوحيد القادر على قبض أرواحهم وإنهاء حياتهم.

٢- وأنه سبحانه هو وحده منزّل الذكر على رسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

٣- وأنه سبحانه هو وحده الوارث لهذا الكون، وكل مَن هو دونه فهو موروث لا وارث.

لا شكّ أن هذه السمات والخصائص الأسلوبية التي اتسمت بها هذه المقامات الثلاثة من اجتماع الضميرين (نا - نحن) في التعبير عن الذات العلية بها = يعدُّ دليلًا من الأدلة التي ينبغي أن تُضَم إلى آلاف الأدلة الباهرة الدالة على إعجاز هذا الكتاب وتفرده، وتدل قبل ذلك على سمة أسلوبية مهمة من سمات

الأسلوب الإلهي في هذا الذكر الحكيم تدل دلالة صادقة على أن المتكلم بذلك هو الله ﷻ.

إذ لا يدّعي ذلك لنفسه إلا الله ﷻ وحده.

ولا يثبت ذلك لنفسه إثباتًا مطلقًا إلا الله ﷻ وحده.

ولا يؤكد ذلك لنفسه تأكيدًا جازمًا إلا الله ﷻ وحده.

ولا يخصص نفسه بذلك تخصيصًا مؤكدًا إلا الله ﷻ وحده.

وهذا الأمر كان هو من أهم مقاصد البحث الذي عني في أساسه بالبحث عن السمات الأسلوبية التي يتسم بها الأسلوب الإلهي، والتي تدل دلالة قاطعة على أن هذا هو كلام الله المتصف بالألوهية بكل صفاتها وعظمتها وجلالها، تلك السمات التي تميز هذا الخطاب الإلهي عن غيره من كلام البشر تمييزًا تامًّا لا يمكن أن يختلط بشيء منه؛ وذلك من أخص خصائص جلال الربوبية، وكمال الألوهية.

ت- الضمير (أنا) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية:

ورَد الضمير (أنا) دالًّا على الذات العلية في ثلاثة عشر موضعًا في كتاب الله ﷻ حسبما أمكنني الإحصاء.

وقد تنوعت المقامات التي ورد فيها هذا الضمير في مواضعه في القرآن الكريم. كما اشتركت جميع مواضعه في دلالة التخصيص فضلًا عن دلالة المتكلم المفرد في جميع الآيات التي ورد فيها.

وهذه المقامات -بحسب اجتهادي في تعيينها- هي:

١- مقام التوحيد.

٢- مقام الترغيب.

٣- مقام الإيناس والتثبيت.

٤- مقام الترهيب.

١- نلاحظ ورود مقام التوحيد في الآيات الآتية:

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩].

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

٢- أمّا مقام الترغيب فقد ورد في الآيات الآتية:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

٣- مقام الإيناس والتثبيت، وقد ورد في الآيات الآتية:

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢].

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩].

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢١].

٤- أما مقام الترهيب فقد ورد في آيتين على الاحتمال، وهما:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ونلاحظ في هذه المقامات جميعًا المناسبة التامة بين الضمير (أنا) معبراً عن ربّ العزة -جلّ وعلا- وبين المقام الذي ورد فيه، وذلك أن ضمير المتكلم (أنا) إنما يدلّ على الاختصاص بوجه قوي فضلًا عما احتفّ به من القرائن في هذه المواضع التي تزيد في إفادته الاختصاص مثل التقديم، أو الحصر بالنفي والاستثناء أو وقوعه مؤكدًا لضمير (ياء المتكلم) ونحو ذلك مما سنبينه تفصيلًا.

ولا يخفى وجه المناسبة بين مقام التوحيد ودلالة التخصيص حيث إن فكرة التوحيد هي تخصيص الله ﷻ بالعبادة، فمِن ثمّ وقع هذا الأسلوب الدال على التخصيص بتلك الطريقة القوية مناسبًا تمام المناسبة لهذا المقام.

وقد اقترنت أكثر المواضع بدلالة الحصر المستفادة من أسلوب النفي والاستثناء المنصب على هذا الضمير في هذه المواضع:

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أو اقترانها بدلالة التقديم كما في:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩].

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

• **أمّا في مقام الإيناس والتثبيت؛** فقد اكتسب الضمير (أنا) -مع دلالة التخصيص ودلالة التكلّم للمفرد، ودلالة العَلَمية- دلالة الإيناس والتثبيت المنبثقة من تلك الدلالات، وذلك أنه لكونه سبحانه هو الإله والرب العظيم المتصف والمختص وحده بكل صفات الرحمة والقوة والعظمة والقدرة المطلقة؛ لذا فهو سبحانه وحده مصدر الإيناس والتثبيت في هذه الآيات الواردة في هذا المقام.

فما آنس الحبيبَ حينما يسمع حبيبه يقول (أنا)!

وما أقوى العبد حينما يسمع سيده ومولاه يقول (أنا)!

وما أسعده بمعيّته وأشده تيهًا وفخرًا حينما يستشعر معيّة مولاه بقوله (أنا)!

• هذا مع تقوِّي الدلالة إمّا بتقدم الضمير في أغلب المواضع، وإمّا بوقوعه مؤكدًا للضمير (ياء المتكلم) المؤكد بإن كما في: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢]، أو: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، أو مؤكدًا لضمير الشأن المؤكد بإنّ كما في: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٩].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢].

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩].

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

• **وكذلك في مقام الترغيب؛** جاءت دلالة ضمير المتكلم المخصص (أنا) في دلالته على الذات العليّة مناسبًا تمام المناسبة لمقامه، فترغيب الله ﷻ لعباده في التوبة مبناه على أنه هو وحده سبحانه المختص بصفة العفو المطلق والرحمة المطلقة مهما عظمت الذنوب والخطايا، وهذا لا يكون لأحد إلا لله ﷻ، فإن العباد جميعهم مهما عظمت لديهم صفة العفو والرحمة، فإنّ لها حدًّا تقف عنده لا يستطيع الإنسان فيه أن يغفر الإساءة أو الزلل العظيم، ولكن عفو الله ﷻ لا يحدُّه حدٌّ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، حتى التائب إليه من الشرك أو الكفر أو الجحود فإن الله ﷻ لا يردُّه ما دام العبد قد تاب ورجع إليه؛ ومن ثم يتضح لنا وجه مناسبة التعبير بضمير المتكلم المخصص في مثل قوله ﷻ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]، أو في قوله ﷻ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]؛ حيث جاء الضمير (أنَا) مؤكدًا تلك الخصوصية في الضمير السابق المؤكد ياء المتكلم في (أنِّي) ليؤكد خصوصية المغفرة والرحمة له سبحانه زيادة في الترغيب.

• **أمّا مقام الترهيب؛** فهو أقل هذه المقامات نصيبًا من حيث اشتماله على ضمير العظمة الإلهية (أنا)، ولم يرِد إلا في موضعين اثنين على الاحتمال:

الأول في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِى سَبِيلِى وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

حيث نستشعر التلميح بالترهيب، فلا تدل الآية على الترهيب الصريح، وإنما هو ترهيب مجازي -إن صح التعبير- وذلك لأن غاية ما فيه تقرير علمه سبحانه بخفايا نفوسهم وإعلانها حتى يراقبوه في السر والعلن، فيمكن حمله على الترغيب في مراقبة الله في السر والعلن، حيث إنّ المطَّلِع عليهم المراقب لهم إنما هو الله سبحانه، ويمكن حملها على الترهيب حيث حذّرهم مخالفته وعصيانه في السر أو العلن وهو مطّلع على ضمائرهم ومكنون صدورهم.

وكذلك في الموضع الثاني: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، فيمكن حمله على الترغيب في تقوى الله ﷻ، أو على الترهيب من مخالفته وعصيانه بحمل ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ على عذابي وغضبي، ونحو ذلك.

ومع ذلك فعلى افتراض صحة خلوص الموضعين للترهيب، فإننا نستطيع أن نقف من وراء ذلك على سمة أسلوبية عظيمة من سمات هذا الخطاب

الإلهي التي تتفق مع صفات الحق سبحانه، وتتسق مع عظمة هـذا الإلـه العظيم، وكمال ألوهيته وجلال ربوبيته، وهو ما تقرره عموم نصوص الكتاب والسُّنة من أنّ رحمته سبحانه سبقت غضبه، وأنه سبحانه له مائة رحمة، وغير ذلك مما ثبت في القرآن والسُّنة الصحيحة.

ث - ضمير (إيّاي) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية:

يأتي ضمير (إيّاي) في دلالته على الذات العليّة مفعولًا مقدَّمًا دالًّا على الاختصاص؛ مما يدل على اختصاص الذات الإلهية بتلك الصفات التي يتعلق بها؛ كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤١].

ويدل الضمير (إياي) في الموضعين على اختصاصه سبحانه بما تعلق بذلك الضمير؛ فينبغي على العبد أن يُفرِد الله ﷻ وحده بالرهبة، ويفرده بالتقوى؛ فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وهذا يدل على صفتين من أخص صفات جلال ربوبيته، وكمال ألوهيته؛ وهما اختصاصه بأنه وحده أهلٌ لأن يُخشى وأهلٌ لأن يُتَّقى.

ج- ضمير (ياء المتكلم) المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية:

ورَد هذا الضمير في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وقد تنوعت مقاماته بحسب هذه المواضع وبحسب تنوع مواقعه الإعرابية بين النصب والجر، غير أننا نستطيع أن نميز من بين هذه المقامات مقامَين أساسيّين قد ورد فيهما هذا الضمير، وهما:

١- مقام تقرير صفات الحق ﷻ وأفعاله.

٢- مقام التكليف الإلهي بالأمر أو النهي.

ومن أمثلة وروده في المقام الأول هذه الآيات:

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

قال ﷻ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- **ففي المثال الأول** في قوله ﷻ: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر الله ﷻ لنفسه صفة العلم المطلق للغيب الذي تجهله الملائكة ويجهله كلُّ مَن عَدَاه سبحانه، وذلك في معرض إجابته لقول الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فجاء جوابه ﷻ لهم مصدّرًا بهذا الضمير المؤكد المناسب لمقام الردّ السريع الحاسم لِوَجازَته وكونه عبارة عن حرف واحد، كما أستشعرُ منه الدلالة على الخصوصية الشديدة من خلال تلك الوجازة وقابليته للالتصاق، وانصباب التوكيد عليه بهذه الصورة: ﴿إِنِّي﴾.

فالجواب إذن يقرر خصوصية لله ﷻ، يقرر صفة من صفاته، وأمرًا من الأمور التي يختص بمعرفة حكمتها، والتي لا يسع الملائكة إزاءها إلا التسليم والانقياد التام، وإن كان هذا الكلام منهم لا يمثل اعتراضًا بالضرورة بقدر ما يمثل تعبيرهم عن تصورهم؛ فبيّن الله ﷻ لهم على الفور بيانًا مؤكدًا أنّ ما عرضه سبحانه عليهم أمرٌ وراءه حكمة عظيمة لا يعلمها إلا هو، وأنه سوف يمثِّل مظهرًا لحكمة الله ﷻ وعلمه بالغيب حينما يعمر آدم وذريته الأرض، فيكون فيهم العُبّاد والعلماء والزهّاد والعاملون بالخير وإعمار الأرض بما أمَرَ الله وشَرَع.

- **وقد تجلّت تلك الحكمة في ظهور هذه الصفة التي يقررها المثال الثاني** في قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، حيث ظهر صدق ما أخبر الله ﷻ به وما قرره من كونه أمرًا يعلم الله ﷻ وحده حكمته، فظهر علمُ الله ﷻ في صلاحية آدم عليه السلام للاصطفاء وذلك بعد تعليمه الأسماء وقابليته لذلك التعلّم، وتفوقه على ذلك بعلم ما لم يعلموا من هذه الأسماء: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

- **أمّا في المثال الثالث؛** فالمقام هنا مقام تقرير صفة فعلية لله ﷻ وهي جعله إبراهيم عليه السلام إمامًا للناس: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

وإذا كنتَ قد استشعرتَ من هذا الأسلوب ﴿إِنِّي﴾ الوجازة وسرعة الإجابة، فمِن ثمّ تظهر مناسبة هذه الصيغة الأسلوبية حينما نربطها بابتلاء الله ﷻ لإبراهيم واجتياز إبراهيم عليه السلام هذا الابتلاء ونجاحه فيه: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

فكما أن استجابة إبراهيم عليه السلام كانت فورية وكاملة على أكمل وجه -وقد دلّت الفاء في ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ على تلك الفورية- كانت استجابة الله ﷻ له فورية كذلك وكاملة على أكمل وجه ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

- **ونحوًا من هذا**، تلك الإجابة الفورية لمَن سأله سبحانه والتجأ إليه في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ومما يدل على إفادة الإيجاز والسرعة والفورية في الإجابة مجيء الكلام مختصرًا عن نظائره في إجابة الأسئلة العديدة في القرآن الكريم؛ حيث يأتي الأمر بالتبليغ {قُلْ} دائمًا في جواب تلك الأسئلة، نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، ونحو ذلك من الآيات؛ مما يدل على اطّراد ورود ذلك الضمير (ياء المتكلم) في المقامات المستدعية فورية الإجابة ووجازة الردّ وسرعته.

*** مقام التكليف الإلهي بالأمر والنهي:**

وذلك كما في الآيات الآتية في سورة البقرة:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠].

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٠].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وتأتي قيمة التعبير بهذا الضمير في مقام التكليف بالأمر والنهي في أنه أوجز طريق للتعبير في الحالة التي يقع فيها هذا الضمير موقع المفعولية؛ لاتصاله بالأمر المطلوب كما في: ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، ﴿وَٱتَّقُونِ﴾، ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾.

هذا في الأفعال المتعدية، وقد يتوصل إلى ذلك بحروف التعدية في الأفعال اللازمة؛ كاللام في: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾، أو الباء في: ﴿وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾.

أو في التكليف بأمر يتعلق به سبحانه وينتسب إليه، كما في: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي﴾، ﴿طَهِّرَا بَيۡتِيَ﴾، ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي﴾، ولا يتوصل إلى الأمر أو النهي بما يتعلق بهذه الأشياء على سبيل الإيجاز إلا بهذه الطريق.

ومِن ثمّ نرى أنّ التعبير بهذا الضمير إنما يأتي محقِّقًا لقيمة الإيجاز، وذلك في مقامات الكلام المقتضية لذلك، كما في صيغ الأمر والنهي المقتضية للإيجاز في الطلب، مما يحقق المناسبة التامة بين هذه الصيغة وبين المقامات الواردة فيه التي تدل على أمور وصفات شديدة الاختصاص بالذات العلية في دلالتها على كمال الألوهية وجلال الربوبية؛ كما في: ﴿نِعۡمَتِي - بِـَٔايَٰتِي -بَيۡتِيَ - رَّحۡمَتِي﴾...إلخ.

ح- تاء الفاعل المتكلم المعبِّر عن الذات العليَّة في القرآن الكريم؛ ودلالاته الأسلوبية:

وردت هذه التاء في القرآن الكريم في المواضع الآتية:

قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢].

وقوله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩].

وقوله ﷻ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١].

وقوله ﷻ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٩].

وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[طه: ١١-١٤].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٧-٤٠].

وقوله ﷻ: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ۝٤٣ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٢-٤٥].

وقوله ﷻ: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٧، ٤٨].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ۝٢٥ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥، ٢٦].

وقوله ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

وقوله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وقوله ﷻ: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ۝٢٩ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ
رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ (٣٢) وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن
يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمۡ
أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ
وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ
لَهُۥ قَرِينٞ (٣٦) وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ
ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢٩-٣٩].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله ﷻ: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا (١١) وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا (١٢) وَبَنِينَ
شُهُودٗا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا (١٤) ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا (١٦)
سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١١-١٧].

وقوله ﷻ: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤].

مقامات تاء الفاعل المتكلم المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم:

من خلال تأمل تلك المواضع التي وردت فيها هذه التاء نستطيع أن نتبين سمة مشتركة بين المقامات أو السياقات التي وردت فيها هذه التاء، وهذه السمة المشتركة بين تلك المقامات، هي: فعل الله وتصرُّفه بعباده بنوعٍ من التصرف يُظهِر فعلًا من أفعال الحق ﷻ فيه مزيد عناية وولاية، أو مزيد تصرف وتدبير؛ وذلك باشتماله:

- إمّا على اختصاص الله بعض عباده وامتنانه عليهم بمزيد عناية وولاية بفعلٍ فيه لطف وحسن صنيع، أو لنفي هذا الاختصاص.
- وإمّا على اختصاص الله بعضهم بمزيد استهزاء واستدراج إلى إهلاكهم بفعل عجيب فيه تصرف وتدبير ومكر بالماكرين.
- وإمّا على فعل له سبحانه فيه صنع عجيب أو حدث عظيم.
- وإمّا لإثبات وعيد شديد أو كيد أكيد منه سبحانه للكافرين.

*** ونستطيع أن نلمح المقام الأول -وهو الاختصاص بمزيد العناية والولاية- في الآيات الآتية:**

قوله ﷻ: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّى فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢].

وقوله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[طه: ١١-١٤].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن

يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٧-٤٠].

وقوله ﷻ: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩].

وقوله ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

وقوله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وقوله ﷻ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١].

- ففي الآيتين من سورة البقرة: اختصاص بني إسرائيل بإنعام الله عليهم وتفضيلهم على العالمين في زمانهم، مما فيه من مزيد عناية وولاية، واقتضى حالهم الامتنان عليهم وتذكيرهم بها.

- وفي آية المائدة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ اختصاص المسلمين بنعمة إكمال الدين، وإتمام النعمة، واصطفائهم للدين الذي رضيه الله ﷻ واختارهم له، فجاءت هذه الأفعال مقترنة بتلك التاء في: ﴿أَكۡمَلۡتُ - وَأَتۡمَمۡتُ - وَرَضِيتُ﴾.

- وكذلك امتنانه سبحانه على عيسى في قوله ﷻ: ﴿ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ...وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ...وَإِذۡ كَفَفۡتُ...﴾، حيث نرى إنعام الله عليه واختصاصه إياه بنعمة التأييد والتعليم وكفِّ أذى أعدائه عنه، وكذلك امتنان الله ﷻ على الحواريين في اختصاصهم بما أوحاه إليهم من الإيمان به وبرسوله.

- وفي آيات سورة (طه) نلمح هذه الأفعال التي تدل على اختصاص الله ﷻ موسى بمزيد العناية والرعاية والمحبة والاصطفاء والولاية: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ - وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي - وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾، ونلحظ اجتماع الضميرين (أنا والتاء) في اختيار الله ﷻ لموسى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾؛ للامتنان والتنويه بعظمة رب العزة -جل وعلا- في اختياره لموسى عَلَيۡهِ السَّلَامُ.

- أمّا آيات سورة (ص) فقد وردت الأفعال فيها مقترنة بتاء فاعل المتكلم: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ - سَوَّيۡتُهُۥ - وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، دالة على تكريم الله ﷻ لآدم عَلَيۡهِ السَّلَامُ واصطفائه إياه؛ نلمح ذلك في تأكيد الفعل ﴿خَلَقۡتُ﴾ بما بعده ﴿بِيَدَيَّ﴾.

*** هذه الأفعال تدل كذلك على المقام الثالث، وهو الدلالة على فعلٍ لله ﷻ فيه صنع عجيب أو حدث عظيم.**

وأيّ حدث أعظم، وأيّ صنع أعجب من خلق الإنسان وتسويته بيديه سبحانه ونفخه فيه من روحه؟!

وقد جاء فعل الخلق مقترنًا بتاء الفاعل كذلك في آية الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وآيات المدثر: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا...﴾ الآيات.

*** أمّا المقام الثاني وهو الاختصاص بالاستدراج للإهلاك بنوع عجيب وهو الكيد والتدبير، فهو ما نلمحه في هذه الآيات:**

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢].

وقوله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥، ٢٦].

وقوله ﷻ: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩].

وقوله ﷻ: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١١-١٧].

- ففي الآية الأولي: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]؛ نلمح الربط بين استهزاء الكافرين بالرسل وعجيب صنع الله ﷻ واستهزائه بهم في المقابل؛ باستدراجه إياهم إلى الهلاك بإملائه لهم ثم أخذهم أخذًا وبيلًا يستحق التعجب منه ومن حسن الصنع والتدبير فيه: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾؟!

ونلاحظ التشابه الكبير بين آية الرعد وآية الحج: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨]؛ حيث نجد الطريقة نفسها؛ الإملاء والاستدراج ثم الأخذ للظالمين: ﴿ أَمۡلَيۡتُ لَهَا...ثُمَّ أَخَذۡتُهَا﴾.

ولعل من المفيد أن نعقد هنا نوعًا من المقارنة بين هذه الآية في سورة الحج والآية السابقة عليها في السورة نفسها في قوله ﷻ: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، حيث نلمح أن الفعل ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ جاء مسندًا إليه ضمير (نا) الفاعل، وليس التاء.

- أمّا في الآية الأخرى حيث ذكر الإملاء، نجد أن الإملاء والأخذ جاء مقترنًا بالتاء؛ وذلك لأنه ظهر لي من خلال تتبُّع أساليب القرآن في ذلك وتتبع المقامات الواردة في تلك الأساليب أن التاء إنما تأتي مع الفعل الذي يدل على تصرف وتدبير وصنع عجيب، أمّا (نا) فتأتي حيث يراد تعظيم الفعل وتضخيمه وتهويله، فحيث أراد سبحانه الدلالة على التدبير والتصرف جاءت التاء التي تبين لي من خلال الاستقراء أنها تدل على ما له مزيد اختصاص بصفاته العجيبة سبحانه وتعالي، وهذا هو ما نلمحه من الأفعال الواردة في السياقات المختلفة الدالة على صفاته العجيبة في: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾، حيث جاء اصطناع موسى واصطفاؤه عجيبًا؛ فقد ربّاه الله ﷻ في بيت عدوِّه يغذوه ويكسوه ويتخذونه ولدًا، وفي ذلك أعجب العجب لقدرة الله ﷻ ولطيف صنعه وتدبيره.

هذا الصنع والتدبير قد يكون بالعناية والرعاية لأوليائه كما في المقام السابق، وقد يكون بالاستدراج والإهلاك لأعدائه كما في تلك الآيات الواردة في هذا المقام والمشتملة على هذه الأفعال: ﴿أَمۡلَيۡتُ - أَخَذۡتُ - مَتَّعۡتُ - وَجَعَلۡتُ - وَمَهَّدتُّ﴾.

وهذا ما نلمحه كذلك في قوله ﷻ: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ [الزخرف: ٢٩]. وسياق الآيات إنما تدل على أن هذا التمتيع إنما هو استدراج من الله ﷻ؛ ولهذا جاء بعد هذه الآية: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ

ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٣٢ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٣٥ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ۝٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢٩-٣٩]. حيث يتضح لنا عجيب صنع الله ﷻ في تمتيعهم استدراجًا لهم، وكيف أنه سبحانه وتعالي رفع بعضهم درجات ليتخذ بعضُهم بعضًا سخريًّا! وكيف أنه لولا أن يكفر الناس جميعًا لمتعهم أكثر من ذلك! وكيف أنه جعل لهم شيطانًا قرينًا يصدّهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون!

كل ذلك استدراج لهم إلى العذاب لمّا كذّبوا وسخروا واستهزؤوا برسله ﷻ؛ فلذا قال في نهاية هذا السياق -سياق الاستدراج-: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩].

كما نلمح ذلك الاستدراج كذلك في قوله ﷻ: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١١-١٧]؛ حيث نلمح هذا التمتيع للكافر استدراجًا له، والآيات هنا تفصل طريقة ذلك التمتيع بقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾، وتبين نهاية ذلك بما يكشف أنه كان نوعًا من التدبير والاستدراج إلى ذلك العذاب الأبدي الأليم: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

*** وفي المقام الرابع -وهو مقام الفعل المشتمل على تهديد ووعيد شديد- نجد هذه الآية الكريمة:** ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤].

حيث نلمح عظم هذا الإنذار لكونه إنذارًا بهذه النار العظيمة الفظيعة التي عظم لهيبها ولظاها إلى درجة بعيدة، فوصفها بأنها تتلظى.

ومن خلال تلك المقامات السابق عرضها نلمح القاسم المشترك في ورود تاء الفاعل المتكلم سبحانه في هذه المقامات جميعًا ألَا وهو الدلالة على ما يختص به سبحانه من فعلٍ عجيبٍ دالٍّ على كمال ألوهيته وجلال ربوبيته؛ وذلك إمّا لِما فيه من لطفٍ بأوليائه، أو لِما فيه من الاستدراج لأعدائه، أو تعظيم فعله سبحانه المتعلق بأمر عظيم من أسرار ذلك الإعجاز الأسلوبي والبياني الخالد، والحمد لله رب العالمين.

***

٢- ضمائر الخطاب المعبرة عن الذات العلية؛ عرض وتحليل:

تتمثل ضمائر الخطاب المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم في الضميرين المنفصلين: (أنت - إيّاك)، والضميرين المتصلين: (تاء الفاعل المخاطب - كاف الخطاب). قال ﷻ على لسان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨].

وهاتان الآيتان تشتملان على ثلاثة ضمائر تعبر عن خطاب الذات العلية، هي: (أنت - تاء الفاعل المخاطب - كاف الخطاب)، ويتبقى بعد ذلك الضمير (إياك) وسوف نتعرض له في أمثلة الالتفات والتنوع في الضمائر. ويتضح من السياقات أن هذه الضمائر كغيرها من الضمائر المعبرة عن الذات العلية تشترك في الدلالة على الاختصاص؛ غير أن تاء الفاعل دلّت على الاختصاص بهذا الفعل الذي أسندت إليه واقترنت به؛ فقوله: ﴿أَمَرْتَنِي- تَوَفَّيْتَنِي- كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾، إنما يدل على اختصاص الفاعل سبحانه بهذه الأفعال دون غيره؛ فهو الذي يأمر فتجب طاعته، وهو الذي يتوفى الأنفس، وهو المختص برقابة عباده.

وفي اجتماع (التاء) أو (الكاف) و(أنت) تأكيد ومزيد اختصاص بالفعل كما في قوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

***

٣- ضمائر الغِيبة المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم؛ عرض وتحليل:

تتمثل ضمائر الغيبة المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم في الضميرين المنفصلين: (هو - إيّاه)، و(هاء الغائب) المتصلة.

أ- من أمثلة (إيّاه):

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقوله ﷻ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

وقوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

* والملاحظ أن الضمير (إيّاه) يأتي في سياق يسبق فيه التعبير عن الذات العلية بالاسم الظاهر أو الضمير؛ فيأتي للإحالة على الظاهر أو الضمير السابق؛ كما في الأمثلة السابقة، وهو يفيد ما يفيده (إيّاي) من الدلالة على القصر والاختصاص؛ خاصة في حال تقدمه، كما في المثالين الأولين.

* **والفارق بينه وبين الضمير (إيّاي)**: أنّ (إيّاي) يأتي للدلالة على قصر الفعل أو الصفة المذكورة على المتكلم، أمّا (إيّاه) فيأتي لقصرها على الغائب الذي يحيل إلى ظاهر أو ضمير سابق.

وهو كثيرًا ما يأتي للدلالة على اختصاصه بالعبادة سبحانه وقصرها عليه وحده، كما في الأمثلة السابقة؛ وهي من أظهر صفات كمال الألوهية وجلال الربوبية.

ب- ومن أمثلة (هو):

قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨، ٢٩].

وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٦، ٧].

وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢، ٣].

تشترك (هو) مع (إيّاه) في دلالتها السابقة على اختصاصه سبحانه بما وصف به؛ غير أن الفارق بينهما أن (هو) ضمير رفع، كثيرًا ما يأتي في موقع

الابتداء مشيرًا ومحيلًا على ظاهر أو ضمير سابق، أمّا (إيّاه) فهو ضمير نصب يأتي في موقع المفعولية مشيرًا ومحيلًا على ظاهر أو ضمير سابق كذلك.

ويلاحظ أن الضمير (هو) يضم مع دلالته على الاختصاص دلالته على التعظيم في جميع السياقات الوارد فيها معبرًا عن الذات العلية سبحانه؛ ويأتي التعظيم معللًا بصفاته وأفعاله العظيمة سبحانه؛ كقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ إلخ، وهذا التعظيم المعلل بصفاته الحسنى وأفعاله العظمى من أخص صفات كمال الألوهية وجلال الربوبية.

ت- أمّا أمثلة (هاء الغائب) المتصلة فكثيرة، نحو:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٨، ٦٩].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

* تشترك (الهاء المتصلة) مع (هو) في دلالتها السابقة على اختصاصه سبحانه بما وصف به؛ غير أن الفارق بينهما أن (هو) ضمير رفع، كثيرًا ما يأتي في موقع الابتداء مشيرًا ومحيلًا على ظاهر أو ضمير سابق، أمّا (الهاء المتصلة) فهي ضمير نصب أو جر، يأتي غالبًا متصلًا بـ(إنَّ) المؤكدة في محل نصب فتؤكد اختصاصه بما ذكر، أو مضافًا إلى اسم ظاهر غالبًا فيبين اختصاصه به سبحانه، أو متصلًا بجار فيكون في موضع جرٍّ دالًّا على الاختصاص كذلك، كما في:

﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [النساء: ١٧١].

والآيات الآتية دالة على ذلك:

﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ **وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ** وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ **وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ** لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن **رُّسُلِهِۦۚ**﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ **رَسُولِهِۦ** وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ **وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ** وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ **وَكَلِمَتُهُۥٓ** أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ **وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ** فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ **وَرُسُلِهِۦ**﴾ [النساء: ١٧١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ **وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ** يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ **بِعَبۡدِهِۦ** لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

* ويلاحظ أن (الهاء) قد تجتمع مع الضمير (هو) فيضم مع دلالته على الاختصاص دلالته على التعظيم في جميع السياقات الوارد فيها معبراً عن الذات العلية سبحانه؛ ويأتي التعظيم معللًا بصفاته وأفعاله العظيمة سبحانه، كما في:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

واختصاصه بتلك الصفات في تلك السياقات دالٌّ على كمال ألوهيته، وجلال ربوبيته كما هو واضح من اختصاصه سبحانه بأنه ﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

***

٤- الالتفات والتنوع الأسلوبي للضمائر المعبرة عن الذات العلية بين التكلم والخطاب والغيبة:

تعريف الالتفات:

«المشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها»[(١)].

ويقصد بالطرق الثلاثة: التكلم والخطاب والغيبة؛ وبذا صرح الجرجاني وغيره بأنه: «هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو على العكس»[(٢)].

وقال الزركشي في البرهان: «واعلم أنّ للمتكلم والخطاب والغَيبة مقاماتٍ، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير بالأول»[(٣)].

وقد مثّل الطِّيبي للالتفات من الغيبة إلى الخطاب بقوله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الثالثة (٢/ ٨٦).

(٢) التعريفات، عليّ بن محمد الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م (ص٣٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية (٣/ ٣١٤).

وقد تعرض لبيان نكتة ذلك الالتفات في حاشيته على الكشاف، فقال في تعليقه على قول الزمخشري: «والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل»[(١)]، وفي إيثار صيغتي أفعل -أي: أعظم وأقصى- إيذانٌ لحصول الترقّي، وأنّ الحمد دون العبادة، وإشعارٌ بتفاوت رُتَبِ كلٍّ من النسبتين على الأوصاف؛ وهو كذلك لأن الحمد شكر على نعمة سابقة فيتقرر عند ذوي الألباب قضية: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

فلما حمد العبد النعم السابقة عَنَّتْ له نعمة أخرى بأنْ كشف الحجاب عن أستار تلك الصفات، فتوغل في الشكر فيها وهي: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣-٤]، فأجراها حينئذ على المستحق لذلك الحمد، فزيد في الكشف بأن صار البرهان عيانًا، والغائب حاضرًا فخاطبه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وفي تضاعيف كلامه (أي: الزمخشري) إيماءٌ إلى هذا المعنى[(٢)].

(١) الكشاف، الزمخشري (١/ ١٠).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي، مخطوط دار الكتب المصرية (٤٧٣)، تفسير تيمور (ق٢١ / ق).

وينقل الطيبي هنا عن ابن جنى قوله: «إنما ترك الغيبة إلى الخطاب لأن الحمد دون العبادة، ألَا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده؟! ولمّا صار إلى العبادة التي هي أقصى أمد الطاعة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إصراحًا بها، وتقربًا منه»[1].

ثم قال الطيبي: «ويمكن أن يعبّر بلسان أهل العرفان ويقال: إن الحمد مبادئ حركة المريد؛ فإن نَفْس السالك إذا تزكّت، ومرآة قلبه إذا انجلَت، فلاحَت فيها أنوار العناية، والعناية هي التي أوجبت الولاية، وتجردت النفس الزكية للطلب، فرأت آثار نعم الله عليها سابغة وألطافه غير متناهية، فحمدت على ذلك، وأخذت في الذكر، فكشف لها الحجاب من وراء أستار العزة عن معنى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فشاهدت ما سوى الله على شرف الفناء، مفتقرة إلى المبقي، محتاجة إلى التربية، فترقت لطلب الخلاص من وحشة الإدبار، وظلمة السكون إلى الأغيار، فهبّت لها من نفحات جناب القدس نسمات ألطاف ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فعرجت من هذا المقام بلمعات بوارق الجلال من وراء سجاف الجمال إلى الأحد الصمد المالك الحقيقي، فنادت بلسان الاضطرار في مقام: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، أسلمت نفسى إليك، وألجأت ظهري إليك، وهنا خاضت لُجَّة الوصول، وانتهت إلى مقام العين، فحققت نسبة العبودية، فقالت: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، وهاهنا انتهاء مقام السالك، ألَا

(١) فتوح الغيب، (٤٧٣)، تفسير تيمور (ق٢٢ / ب).

ترى إلى سيد الخلق، كيف عبر عن مقامه هذا بقوله ﷻ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]؛ فطلَبَت التمكين بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، واستعاذت من التلوين بقوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فقصد مستكملًا ورجع مكملًا»[(١)].

ومن ثم، فإن قيمة الالتفات في الآيات تتجاوز -عند الطيبي- حدَّ التطرية والتنشيط واستمالة المتلقي إلى الإصغاء، كما ذهب إليه كثير من البلاغيين؛ فكأنه يرى أن نكتة الالتفات هنا تتمثل في رعاية حال المتكلم، فالعدول في الآيات من مقام الغَيبة إلى مقام المخاطبة والمشاهدة، يتطابق أتم المطابقة مع الحال التي تجددت للعبد بعد مثوله بين يدى مولاه، واستشعاره لربوبيته إيّاه، وسعة رحمته له في العاجلة والآجلة، ومالكيته له في الدنيا والآخرة؛ فأورثه استشعارُ الربوبية رغبةً في العبودية، واستشعارُ النعمة مع التقصير والرحمة مع التفريط حياءً ورغبة، واستشعارُ المالكية في الأولى والآخرة تذللًا ورهبة، فاستشعر بتلك الأحوال لزوم العبودية له والافتقار إلى مولاه، فتوجه قلبه إلى ربه بالرغبة والرهبة والخضوع والإنابة، ولما كان جماع تلك الأحوال يسمى

---

(١) فتوح الغيب (٤٧٣)، تفسير تيمور (ق٢٢ / ب).

العبادة، فانطلق اللسان معبراً عن تلك الحال بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وينبغي ألّا يُعترض هنا بأن هذا الكلام هو كلام رب العزة لا كلام العبد؛ وذلك لأن هذا الكلام ينسب إلى العبد ويعبر عن حاله من حيث إن العبد مأمور بقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ...إلخ؛ ولذلك قدّر بعض المفسرين في أول الكلام (قولوا) أي: (قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾... إلخ[1].

ولما كان هذا الكلام مقولاً على لسان العباد؛ فمِن ثمّ راعت السورة ذلك، وجاءت مشتملة على هذا الأسلوب المناسب لحال المتكلم به وهو العبد في حال تعرفه على الله، وتوجهه إليه بالعبادة، فهو في بادئ أمره يحمد غائبًا عنه قد عُرف بصفاته، ووُصِف له، فحمده العبد بتلك الصفات متدرجًا ومتنقلاً بين مشاهدها وظلالها حتى تجلت له عظمة تلك الذات، فصار المتحدث عنه كالحاضر المشاهد، وصار الغائب مخاطبًا، فتحول من الحديث عنه إلى مخاطبته والإقرار بوحدانيته وعبوديته.

وقد تعرض الزمخشري لبيان نكتة هذا الالتفات فقال: «ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيقة بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق

---

(١) ينظر مثلاً تفسير الجلالين لسورة الفاتحة.

العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المميز بتلك الصفات، فقيل: إيّاك يا مَن هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك، ولا نستعينه؛ ليكون الخطاب أدلّ على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به»(١).

والشاهد هنا أنه تم الانتقال من التعبير بالغائب الذي ناسب حالة تعرف العبد على ربه إلى التعبير بالمخاطب: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ الذي ناسب حالة تحقق المعرفة بصفاته؛ حتى كأنّ العبد قد انتقل إلى حال المشاهدة؛ فناسب ذلك الانتقال إلى حال الخطاب الذي يناسب توجه العبد إلى ربه بإقراره بالتوحيد، ومعاهدته سبحانه على إخلاص العبادة والاستعانة، أو توحيد القصد والطلب.

وناسب ذلك استعمال ضمير المخاطب (إيّاك) وهو ضمير نصب لكونه مفعولًا مقدَّمًا أفاد قصر العبادة والاستعانة عليه سبحانه واختصاصه بهما أشد الاختصاص، وهو أبلغ من (نعبدُك ونستعينُك). «ولو قيل: نعبدك ونستعينك، لم يُفِدْ نفيَ عبادتهم لغيره، ولا الاستعانة بغيره، وذلك نظير قولك: (أكرمتك) و(إيّاك أكرمت)»(٢).

(١) الكشاف، (١/ ١٠).

(٢) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح السامرائي، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٣، (١٤٢٣هـ،٢٠٠٣م)، (ص٤١).

ومن مواضع الالتفات كذلك الالتفات من الغائب إلى المتكلم:

حيث ورد الضمير (نَا) في مقام التكريم في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، حيث إنّ (نَا) اقترنت هنا بالفعل ﴿قُلْنَا﴾ الذي يحمل الأمر للملائكة بالسجود لآدم تكريمًا له حيث إن «آدم لما أنبأهم بأسمائهم -أي: أسماء ما سُئلوا عنه في قوله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الآية- وعلّمهم ما لم يعلموا أمرهم -أي: الله ﷻ- بالسجود له؛ اعترافًا بفضله وأداءً لحقه واعتذارًا عما قالوا فيه».

«فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم؛ أكرم الله آدم أنْ أسْجَدَ له ملائكته»[(١)].

فالمقام مقام تكريم لآدم بإجماع المفسرين، قال ابن جرير: «﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: كأنّه قال -جل ذكره- لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ من بني إسرائيل معدِّدًا عليهم نعمه ومذكِّرهم آلاءه على نحو الذي وصفنا فيما مضى قبل: اذكروا فعلي بكم إذ أنعمتُ عليكم فخلقتُ لكم ما في الأرض جميعًا، وإذ قلت للملائكة إني جاعل

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، ت. شاكر (١/ ٥١٢).

في الأرض خليفة، فكرّمتُ أباكم آدم بما آتيته من علمي وفضلي وكرامتي، وإذ أسجَدْتُ له ملائكتي فسجدوا له»[(١)].

وإذا تقرر أن المقام للتكريم فمناسبة ضمير التعظيم للمقام ظاهرة، وذلك كفعل الملك العظيم في تكريمه لمن رأى تكريمه من رعيته فإنه يقول مثلًا: (قررنا منح فلان كذا)، ونحو ذلك لِما في ذلك من مناسبة المقام؛ لأن عظمة المكرِّم تزيد في تكريم المكرَّم، فكان ذلك مما يناسب المقام أتمّ مناسبة.

ومع ظهور مقام التكريم واتفاق المفسرين عليه فإن ذلك لا ينافي رؤية مقام آخر، وهو مقام إظهار جلالة الحق سبحانه، وبيان علوّ كلمته، وإحاطة علمه، وتأكيد استقلال حكمه، وذلك حيث ظهر صدق ما أخبر به سبحانه ملائكته فيما أبدوه في خلق آدم، حيث أخبرهم بأنه يعلم من أمره ما لا يعلمون، وأنه يكون له مكانة في العلم والفهم فيما علّمه من الأسماء، فلما ظهر فضل آدم أمرهم بالسجود له على وجه التحية والتكريم والتعظيم له والاعتراف بفضله.

وقد التفت أبو السعود إلى هذا المقام فقال: «والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال»[(٢)].

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، ت. شاكر (١/ ٥٠٢).

(٢) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ٨٧).

وقد رأى أن الالتفات من الغائب ﴿قَالَ﴾ إلى التكلم ﴿قُلْنَا﴾ جاء مناسبًا لهذا المقام. وهو كما قال غير أننا نزيد عليه أن كون التكلم جاء بضمير التعظيم (نَا) كان أكثر تحقيقًا لتلك المناسبة وأكثر مطابقة لذلك المقام؛ وذلك لأنه لما ظهر صدق ما أخبر به الحق، وسعة ما يكِنُّ من علم، وإحاطته بالغيب حقَّ له سبحانه أن يعظم ذاته مظهرًا لهم صدق خبره، وسعة علمه، وكأنّ بهذا المقام أيضًا لمحة لوم أو تبكيت ومعاتبة يناسبها ذلك التعظيم، ويوحي بها ابتداءً السياق بذلك الاستفهام الاستنكاري: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ ولذا قال البيضاوي: «وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى، وهو أن يتوقفوا مترصدين لأَنْ يبين لهم»[(١)].

ويخلص المقام بعد ذلك في الآية التالية للتكريم دون شائبة عتاب ولا لائمة؛ وذلك لأنه خطاب لآدم المكرَّم وليس خطابًا للملائكة، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]، ولكن المقام هنا لا يخلص للتكريم وحده كذلك بل يظهر فيه أيضًا مقام التكليف في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، مع ما يحمله من تحذير

(١) تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٧٠).

واضح في قوله ﷻ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ولا شك أن صيغة التعظيم تأتي مناسبة تمام المناسبة لكلٍّ من مقام التكليف والتحذير، فكلاهما يقتضي علوّ المتكلم وإشعاره للمخاطب بعلوِّ منزلته عليه حتى يكون ذلك أدعى لاستجابته.

ومن هنا نرى كيف كان الالتفات من الغائب ﴿قَالَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إلى المتكلم ﴿وَقُلْنَا﴾ تمام المناسبة لمقام تعظيم الحق لنفسه في مقامات التكريم والتكليف والإخبار والمعاتبة من إله عظيم مختص بكمال التعظيم والتمجيد الدال على كمال الألوهية وجلال الربوبية.

***

المطلب الثاني: الضمائر المعبرة عن الذات العلية في القرآن؛ نظرات في دلالتها الأسلوبية:

بعد تلك الدراسة التحليلية للضمائر المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم نستطيع أن نقرر أن تلك الضمائر قد عبّرت أسلوبيًّا عن أسلوب المتكلم بها، وهو الحق ﷻ مما يدل دلالة واضحة على مصدرية القرآن الكريم، وأنه من عند الحق ﷻ.

ومن أهم الدلالات الأسلوبية لتلك الضمائر على أسلوب المتكلم بها:

أ- دلالتها على كمال التعظيم الذي لا يستحقه إلا هذا الرب المبدع والإله العظيم؛ وذلك كما رأينا في اجتماع ضمائر التعظيم في:

قوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

فإذا تأملنا في الدلالة الأسلوبية لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] على دلالة الضمائر على المتكلم، وأنه هو الإله الحق سبحانه منزل ذلك الكتاب، رأينا اجتماع أربعة ضمائر للتعظيم في تلك الجملة الخبرية، وهي الضمير (نحن) مع تكرر الضمير (نا) ثلاث مرات؛ وهذا إن دلّ

على شيء فإنما يدل على أنه سبحانه هو الإله الحق الذي يحق له أن يعظم ذاته لإنزال هذا الكتاب العظيم. وإلّا فَمَن يجرؤ على هذا الادّعاء إلا متكلِّف للكلام على استحياء تبدو عليه أمارات الكذب والتكلف، لا أمارات التمجيد والتعظيم لنفسه. فلا أحد غير الله يستطيع ادّعاء شيء مما ذُكر في هذه الآيات معظمًا نفسه هذا التعظيم، ومثل ذلك الإحياء والإماتة فلا يدّعي ذلك إلا كاذب متكلِّف ما ليس له، فتراه يدّعيه على استحياء بأدنى ألفاظ الإثبات كما في قول نمروذ: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾، في قوله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فتراه قد ادّعى لنفسه الإحياء والإماتة بأدنى لفظ يدل عليه، وهو الضمير (أنا)؛ لكن الحق سبحانه يثبت ذلك لنفسه بمجموع ضمائر العظمة؛ فيقول: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣]، ويقول: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

فتراه سبحانه يستعمل ضمائر العظمة (نا) ويأتي الضمير (نحن) أربع مرات في تلك الجملة الخبرية: مرتين ضميرًا ظاهرًا، ومرتين مستترًا دلّت عليه نون المضارع في: ﴿نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ﴾، أضف إلى ذلك مجيء ضمير التعظيم (نحن) مسبوقًا بلام التوكيد.

فهل يمكن أن يكون اجتماع هذه الدلائل الأسلوبية للتعظيم لغير ذلك الإله الحق الذي يتفرد بأنه يحيي ويميت، وإليه المصير، وأنه وحده الذي يرث الأرض ومَن عليها؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]؟

ب- ومن ذلك دلالة الضمائر على توحيده سبحانه:

من أمثلة ذلك ضمِيرَا الغائب: (إيّاه) و(إيّاي)، كما في قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فالملاحظ أن الضمير (إياه) يفيد ما يفيده الضمير (إياي) من الدلالة على القصر والاختصاص، خاصة في حال تقدمه كما في المثالين الأولين، وهو كثيرًا ما يأتي للدلالة على اختصاصه بالعبادة سبحانه وقصرها عليه وحده كما في الأمثلة السابقة، وهي من أظهر صفات كمال الألوهية وجلال الربوبية، كما يأتي

ضمير (إياي) في دلالته على الذات العلية مفعولًا مقدَّمًا دالًّا على الاختصاص؛ مما يدل على اختصاص الذات الإلهية بتلك الصفات التي يتعلق بها؛ كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤١].

ويدلّ الضمير (إياي) في الموضعين على اختصاصه سبحانه بما تعلق بذلك الضمير؛ فينبغي على العبد أن يفرد الله ﷻ وحده بالرهبة، ويفرده بالتقوى؛ فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وهذا يدلّ على صفتين من أخص صفات جلال ربوبيته، وكمال ألوهيته؛ وهما اختصاصه بأنه وحده أهل لأن يُخشَى وأهل لأن يُتَّقَى.

ت- الإعجاز الأسلوبي والبلاغي في الضمائر الدالة على الذات العلية دليل على كون المتكلم بهذا القرآن هو الحق سبحانه:

وقد ظهر ذلك في كل أمثلة البحث، لا سيما تنوع الضمائر في سورة الفاتحة في الالتفات فيها من ضمير الغائب في أولها إلى الخطاب في وسطها، ثم الرجوع إلى الغائب في آخرها لنكت دقيقة بلاغية وأسلوبية؛ سبق بيانها.

كلّ ذلك وغيره مما بينه التحليل الأسلوبي للآيات التي اشتملت على ضمائر الذات العلية في القرآن الكريم يمثل سمات أسلوبية دالة على كون المتكلم بهذا الكلام هو الله العزيز الحكيم.

ث - تنوع المقامات والسياقات الدالة على مظاهر الجلال الإلهي المميز لكتاب الله العظيم.

هذه السمة الظاهرة الواضحة المميزة لأسلوب القرآن الكريم تتضح اتضاحًا تامًّا من خلال تنوع الضمائر المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم بصيغها المختلفة التي تتنوع بحسب تنوع المقامات والسياقات التي تعدُّ من أهم مظاهر الجلال الإلهي المميز لكتاب الله العظيم.

فمقامات التكليف للعباد، ومقامات التكريم لخلقه، ومقامات التخويف والتهديد والمعاقبة، ومقامات الطمأنة، ومقامات التسلية والتثبيت، ومقامات بيان اختصاصه سبحانه وحده بالقُدرة المطلقة، ومقام بيان اختصاصه سبحانه وحده بإنزال الذِّكر، ومقام بيان اختصاصه سبحانه وحده بالإرث المطلق، واختصاصه بالإحياء والإماتة، ومقام بيان الحكمة الإلهية، ومقام بيان الإحاطة والمالكية، وغيرها من المقامات التي دلّت عليها الضمائر المعبرة عن الذات العلية في سياقاتها المختلفة = إنما دلّت على إلهٍ عظيم قادر صمد، قد كمل سؤدده ومجده وشرفه وفضله وعطاؤه، وتنزّه عن كل نقص وسوء ﷻ ؛ مما يدل دلالة تامة على كمال ألوهيته وجلال ربوبيته من خلال الضمائر المعبرة عن ذاته سبحانه، وهو ما عُني به هذا البحث المتواضع.

***

خاتمة البحث، وأهم نتائجه:

مثّلَت الضمائر المعبرة عن الذات العلية في القرآن الكريم أداة أسلوبية مميزة في دلالتها على أن القرآن الكريم هو كلام تلك الذات الإلهية المتكلمة به؛ وذلك بدلالة تلك الضمائر على عظمة تلك الذات وجلالها وكمالها، مع تنوع تلك الضمائر الدالة على الذات العلية في مقاماتها وسياقاتها المختلفة بين صيغ التكلم تارة، والخطاب أو الغَيبة تارة أخرى.

وقد كشف تحليل النماذج المختارة عن أن التعبير عن الذات العلية في القرآن الكريم من خلال تنوع صيغ الضمائر المعبرة عن الذات الإلهية يمثل سمة من أهم السمات الأسلوبية للقرآن الكريم التي تكشف عن مصدره، وتتمثل تلك السمة في تَميُّزِه بوضوح سمة كمال الألوهية، وظهور جلال الربوبية في أسلوبه من أوله إلى آخره؛ وذلك بدلالة تلك الضمائر على صفات الكمال ومظاهره، وصفات العظمة والجلال والقدرة والكبرياء ومظاهرها في أمره ونهيه، ومعاقبته وعفوه، وإنعامه وإكرامه لعباده... وغير ذلك؛ بحيث لا يسمع هذا القرآن سامع إلا ويقرُّ في نفسه أن هذا خطاب إلهي مِن مَلِك الناس، إلهِ الناس، مَلِك الملوك الذي بيده ملكوت كل شيء، يقبض ويبسط، ويخفض ويرفع، يؤتي الملك من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

***

ثبت بأهم مصادر البحث ومراجعه:

- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، س ١٩٩٠.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، د. عبد الحميد هنداوي، ط. المكتبة العصرية، بيروت.
- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، د. عبد الحميد هنداوي، الدار الثقافية، القاهرة، ط١ (٢٠٠٤م).
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط٣، (٢/ ٨٦).
- بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، د. محمد نبيل غنايم، طبعة دار الهداية للطبع والنشر، توزيع دار القلم، القاهرة، ط١، (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م).
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ، ط١، (١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م).
- البلاغة العربية، د. عبد الحميد هنداوي وزميله، مطبعة جامعة القاهرة، ط. (٢٠١٦م = ١٤٣٨هـ).
- التعريفات، عليّ بن محمد الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م)، (ص٣٥).

- تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، المحقق: عليّ عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ناصر الدين البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ).
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط١.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، طبعة الرسالة، ط١ (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م).
- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٢٢هـ).
- تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، (١٤٠٧هـ)، (١/ ١٠).

- التفسير الموضوعي لآيات الحوار في القرآن الكريم، د. عبد الحميد هنداوي، ماجستير الشريعة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (٢٠١١م).
- دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر الألمعي، ط. مطابع الفرزدق.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي، مخطوط دار الكتب المصرية (٤٧٣)، تفسير تيمور (ق٢١ / ق).
- القاموس المحيط، ط. الرسالة، محقق بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح السامرائي، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ط٣، (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م).
- مختصر تفسير البغوي، اختصار وتعليق د. عبد الله بن أحمد بن عليّ الزين، ط. جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط ١، (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).
- مستويات دلالة الكلمة بين البلاغة والأسلوبية، د. عبد الحميد هنداوي، بحث مستلّ من مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ٢٣، (يونيو ٢٠١٠م).

- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٩٩٦)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- منهج التفسير الموضوعي في القرآن الكريم؛ دراسة نقدية، سامر رشواني.